((ظاهرة التذكير والتأنيث بين المنطق العقلي وواقع اللغة))

د فرهاد عزيز محي الدين

مدرس

كلية التربية / جامعة كركوك

((خلاصة))

تُعَدُّ ظاهرة التذكير والتأنيث من الظواهر التي لا تسير على وفق منطق عقليٍّ في تصنيف الألفاظ ، بل إنَّ الواقع اللغوي يكشف أنَّ لهذه الظاهرة منطقاً خاصاً لا يمكن إخضاعه للمنطق العقليّ بأيِّ شكلٍ من الأشكال .

إنَّ الأساس الذي بُنِيَتْ عليه هذه الظاهرة هو الجنس – في معظم اللغات – وهذه النظرة في تصنيف الألفاظ اللغوية جميعها هي نظرةٌ نسبيةٌ ضيّقةٌ . إذ حاول الإنسان – بعد أنْ ميَّز الإنسان والحيوان في لغته من حيث الجنس – إعمام هذه النظرة على ألفاظ لغته جميعها ، فظهر ما يسمّى بالمذكّر والمؤنّث المجازيين . لذا لو بحثنا عن صلةٍ منطقيّةٍ بين هذه الألفاظ المذكّرة أو المؤنّثة مجازياً ، وبين ما يمكن أن تتضمّنه من تذكير أو تأنيث دالٍ على الذكر والأنثى ، وجدنا بينها ألفاظاً كثيرةً لا نراها في حقيقتها تمتُّ للجنس بصلةٍ عقليّةٍ ، وإنَّما جرت اللغاتُ نتيجة تأثرها بعوامل كثيرة – دينية واجتماعية وفكرية وغيرها – على معاملتها تلك المعاملة .

وبما أنَّ هذه العوامل – التي أثّرتْ في هذه الظاهرة – هي متغيّرةٌ وتختلف من مجتمعٍ إلى آخر ، لذا فما كان مذكّراً عند قوم قد يكون مؤنّثاً عند آخر .

وحتى تصنيف الألفاظ من حيث الجنس هي ليست مطَّردة في اللغات جميعها ، إذ ثمة لغاتٌ صنّفت الألفاظ على وفق اعتباراتٍ أخرى من دون النظر إلى التذكير والتأنيث .

لذا وبناءً على ما سبق فإنَّ دراسة هذه الظاهرة ينبغي أن تكون على وفق منطقِ هذه الظاهرة . وتفسير تصنيف الألفاظ – المذكّرة والمؤنّثة مجازياً – يجب أن يكون انطلاقاً من هذه الحقيقة ، وإنَّ إخضاعها للمنطقِ العقليِّ الصارم يجعلها مضطربةً وبعيدةً عن التفسير اللغويِّ الدقيق .

((ظاهرة التذكير والتأنيث بين المنطق العقلي وواقع اللغة))

إنَّ دارس اللغة يقف أمام ظواهر كثيرة يحس عند تأملها أنَّ هذه اللغة تسير على وفق منطق خاص ، منطق قد يقترب في بعض مظاهره من المنطق العقلي من حيث التنظيم والترتيب ، وقد يبتعد ؛ إذ إنَّ اللغة لا تخضع دائماً للمنطق العقلي القائم على التفكير الإنساني . فإذا ((كانت الظواهر العامة للحياة خاضعة لسنن عامة أو خاصة ، تسير بموجبها تلك الظواهر ، فإنَّ اللغة العربية وسائر اللغات أيضاً خاضعة لقوانين وضوابط تنتظم في سلكها سواء أكان ذلك متصلاً بمفرداتها أم كان متصلاً بتراكيبها ، وكما أنَّ الحياة قد تظهر في بعض صورها بعيدة عن المنطق العقلي ، فكذلك اللغة قد تبدو لنا بعيدة عن ذلك في كثير من أحكامها))[1] .

وهذا لا يعني أنَّه لا توجد مساحة مشتركة يتفق فيها المنطق العقلي مع اللغة ؛ لأنَّ ((ارتباط اللغة بالعقل الإنساني وتفكيره منذ نشأتها قد جعل بين اللغات البشرية قدراً مشتركاً يمكن إرجاعه إلى الفكر الإنساني العام))[2] . ومثل هذا القدر المشترك بين اللغة والعقل هو الذي يحدد العلاقة بين اللغة والمنطق ، وعن طريقه يتم الكشف عن ارتباط النظام اللغوي بالتفكير الإنساني[3] .

وتُعدُّ ظاهرة التذكير والتأنيث إحدى هذه الظواهر اللغوية التي تظهر فيها جوانب من التنظيم العقلي المنطقي ، وجوانب أخرى ينتفي فيها هذا التنظيم . ولعلَّ السبب الرئيس والمباشر في عدم إطّراد هذه الظاهرة في اللغة هي النظرة النسبية التي بُنِيتْ عليها هذه الظاهرة في تقسيم الأسماء من حيث الجنس على مذكر ومؤنث وإعمامها على موجودات الحياة كلِّها ، إذ إنّ الجنس كان من الأمور الأولى التي لفتتْ ((نظر الإنسان الأول حين عرف الفرق بين الذكر والأنثى في الإنسان والحيوان ، وانعكس ذلك بالطبع على لغته))[4] .

وتأتي نسبية هذه النظرة عندما حاول الإنسان إعمام هذه الفكرة على ألفاظ اللغة جميعها بعد أن توسعتْ ونَمَتْ وصارتْ تشتمل على أشياء أخرى لا تندرج ضمن هاتين الفصيلتين بأيِّ شكلٍ من الأشكال .

لذلك نجد أنَّ اللغات السامية عاملتْ سائر الموجودات الكونية على أنها إمَّا مؤنثة وإن لم يكن لها مذكر من جنسها ، أو مذكرة وإن لم يكن لها مؤنث من جنسها ، وعلى أثر هذا ظهر ما يسمّى بالمذكر المجازي كالقمر والحجر ، والمؤنث المجازي كالشمس والعين[5] .

إذ نجد أنَّ اللغات السامية قد أخضعتْ هذه الظاهرة لفكرة الجنس ، وصارت قاعدة مقررة أُقحم فيها حتى ذلك القسم الثالث "الخنثى" – الذي لا هو بذكر ولا أنثى – وتعاملت معه معاملة المذكر والمؤنث[6] ، لذا فإنَّ ((

القسم الذي تفرَّد في الطبيعة والمعنى ، وتميّز ، لم يتميّز من الناحية اللغوية الشكلية بمعاملة تخصُّه من حيث هو جنس ثالث مستقل))[٧] .

وممَّا يدل على نسبية هذه النظرة في تقسيم الموجودات ، أنّ الفكرة التي بُنِيتْ عليها هذه الظاهرة غير مطّردة في اللغات جميعها ، بل تتفاوت هذه الفكرة تبعاً لفكر المجتمعات وتصوّرات شعوبها . ففي الوقت الذي كان المذكر والمؤنث طرفي هذه الظاهرة في اللغات السامية نجد في اللغات الهندية الأوروبية أنَّهما ليسا الطرفين الوحيدين في فكرة الجنس ، بل ثمة طرف ثالث هو المحايد (Neutral) ، ((وقد يظن القارئ أنَّ المحايد في تلك الألسن مخصوص بما هو جامد ، أو أنَّه وضع ليُحْشَر فيه كل اسم لا يدل على مذكر حقيقي أو مؤنث حقيقي ، وليس الأمر كذلك ، إذ تجد في قسم المحايد أسماء تدل على جوامد ، مثل "معبد وبحر وجسم وقرن" في اللاتينية ، كما تجد فيه أيضاً أسماء تدل على أحياء ، مثل "طفل" في الإغريقية . ومن جهة ثانية تجد الجوامد نفسها قد وزِعتْ أسماؤها على الأقسام الثلاثة : المذكر والمؤنث والمحايد ، على أنَّ حصة المحايد من هذه الأسماء أقلُّ من حصة كل من قسيميه المذكر والمؤنث))[٨] . وحتى هذه النظرة في تقسيم الألفاظ لم تسعف في إطّراد القاعدة وإخضاعها للمنطق العقلي ، إذ ((غدا الفرق بين المذكر والمؤنث والمحايد لا يعتمد على الواقع الطبيعيّ لهذه الأشياء بمقدار ما يعتمد من علامات لغوية بحتة لا علاقة لها بجنس الشيء في الطبيعة))[٩] . ففي الألمانية مثلاً نجد أنّ كلمة (كلب Hund) هي مذكرة ، أمَّا (حمامة Taube) فهي مؤنثة ، على حين نجد كلمة (حصان Pferd) محايدة[١٠] . و ((العهدة في مَيْزِ هذه عن تلك مناطها علامات لغويّة تعود إلى نوع الأداة المستخدمة معها (der للمذكر ، die للمؤنث ، das للمحايد) ، أو إلى اللواصق التي تلحق بالصفات ، أو أنواع الضمائر التي استخدمت معها (er هو) للمذكر ، (sie هي) للمؤنث ، (es) للمحايد))[١١] .

وفي الإنكليزية نجد هذه الظاهرة تسلك مسلكاً آخر ، فهي إمَّا مذكّر عاقل ، أو مؤنث عاقلة ، أو غير عاقلة بغض النظر عن جنسها في الطبيعة . فالإنكليزية ألغتْ الفروق الشكلية بين الأسماء المذكرة والمؤنثة العاقلة وغير العاقلة ، واستعاضت ببدائل هي الضمائر الثلاثة : (He, She, It) وما اشتق منها[١٢] .

على حين نجد بعضاً من اللغات الأخرى – في هذه الفصيلة – لا تضع أية علامة شكلية للتمييز بين المذكر والمؤنث بل تترك ذلك للسياق وحده لكي يحدّد المقصود ، ومن هذه اللغات الفارسية والكردية [١٣] .

ولو تتبعنا هذه الظاهرة في اللغات البدائية لَوجدنا أيضاً تباين الفكرة التي بنيت عليها هذه الظاهرة ، إذ ليس في هذه اللغات نوعان من الجنس فحسب ، كما في اللغات الجزرية (السامية) ، ولا ثلاثة أنواع كما في اللغات الهندوأوروبية ، بل فيها غالباً أنواع كثيرة يفترق بعضها عن بعض نحوياً ، إذ تتوزع فيها أشياء العالم المحسوس ، ويرجع هذا التوزيع في الأساس إلى تأملات خرافية ، أو بتعبير أحسن تأملات خيالية بِقَدر ما يبدو للرجل البدائي أنَّ العالم كلَّه من الأحياء[١٤] .

فالواقع اللغوي يرينا أنَّ هذه اللغات تُدخل في الجنس الحيّ أسماء تدلُّ على أحياء ، وأخرى تدلُّ على جمادات ، إذ نجد لغة (الألجونكين Algonquian)[١٥] ((تميِّز بين جنس حيٍّ وجنس غير حيٍّ ولا يهمّها بعد ذلك ما يدخل تحت كلٍّ واحد من الجنسين من أشياء ، فقد تضع الألجونكين بين الأشياء المدلول عليها بالجنس الحيّ إلى جانب الحيوان : الأشجار والأحجار والشمس والقمر والنجوم والرعد والثلج ...))[١٦] .

وهذا ممّا يؤكد انتفاء العلاقة بين المنطق العقلي وواقع اللغة ، إذ ليست لهذه الظاهرة صورة ذهنية ثابتة ومستقرة ، ومَرَدُّ ذلك – مثلما أسلفنا القول فيه – هو إعمام النظرة الضيِّقة التي بُنِيَتْ عليها هذه الظاهرة لتشمل الموجودات جميعها ، فلو ((بحثنا عن صلةٍ منطقيةٍ عقليةٍ بين الأسماء المؤنثة وما يمكن أن تتضمنه من تأنيث حقيقي دالٍّ على الجنسية الأنثوية ، وجدنا بينها قدراً من الأسماء لا نراها في حقيقتها تمتُّ للجنس بصلةٍ عقلية واضحة ، وإنَّما جرت اللغات لأمرٍ ما على معاملتها تلك المعاملة))[١٧] .

وعند استعراض اللغات البشرية في معالجتها لهذه الظاهرة نجدها تسلك مسالك خاصة وطرائق متعددة ، ولا تسير على وفق منهج عقليٍّ منطقيٍّ مطَّرِد ((فمنها ما لا نراه في علاج الأسماء ينظر إلى تأنيث حقيقي أو تذكير حقيقي ، وإنَّما تُقسم أسماؤها إلى طوائف حسب صيغتها ، ثم تعالج فيها كل طائفة علاجاً خاصاً ، ومثل تلك اللغات مجموعة "البانتو" في جنوب أفريقيا))[١٨] . ففي هذه اللغات يتم التمييز بين المذكّر والمؤنّث بأسماء عديدة ، ويراعي فيها المتكلم التفرقة بين الأحياء والجمادات [١٩] .

ومنها أيضاً لغة (التوش Tuch) – إحدى لغات القوقاز – التي تضيف لواحق مختلفة يتصل بعضها بالأسماء المذكرة تذكيراً حقيقياً ، وأخرى بالأسماء المؤنثة تأنيثاً حقيقياً ، وثالثة بغير العاقل حيّاً كان أو جماداً[٢٠] . فضلاً عن لغات أخرى في أنحاء المعمورة ((من اللغات البشرية المغمورة قصّرت الأمر على التفرقة بين الحيّ والجماد ، دون النظر إلى التأنيث الحقيقي أو التذكير الحقيقي))[٢١] .

وهكذا نجد أنَّ الأسس التي بُنيت عليها هذه الظاهرة مختلفة وتتفاوت من لغة إلى أخرى تبعاً لتصوّرات الشعوب ونظرتها إلى موجودات هذا الكون . فالمنحى الاجتماعي والفكري ومعتقدات الشعوب واضحةٌ في هذه الظاهرة وأثرتْ فيها تأثيراً كبيراً ، وعلى أثر ذلك نجد بعض اللغات قد سَلَكَتْ ((مسلكاً غريباً بهذا الصدد ، إذ

قسمتْ الأسماء إلى طائفتين : الأولى تتضمن أسماء الأشخاص ، وما يدل على أشياء ضخمة ذات أثر واضح ، وأخيراً تلك التي رأوها تُعبِّر عن المذكر . أمَّا الطائفة الأخرى : فتشمل أسماء الأشياء الصغيرة القليلة الأهمية ، ومعها تلك التي تُعبِّر عن المؤنث))[٢٢] .

فارتبط كلُّ ما هو قويٌّ بالمذكر ، وكلُّ ما هو ضعيف بالمؤنث . وليس ذلك التأثير ببعيد ؛ لأنَّ اللغة ظاهرة اجتماعية تخضع لما يخضع له الكثير من الظواهر الاجتماعية من تأثيرات ، وهي من أبرز مظاهر السلوك البشري تتأثر بالمتغيرات والعوامل التي يتأثر بها الإنسان نتيجة تفكيره واحتكاكه بالعالم الخارجي .

وهذه العوامل سواء كانت اجتماعية أم فكرية أم دينية ، هي التي أحاطت هذه الظاهرة بهالة من الغموض ، وجعلتها تسلك مسالك متعددة وطرائق شتّى في تصنيف الألفاظ . لذلك يُعلِّلُ أحد اللغويين تصنيف الألفاظ على وفق الجنس قائلاً : ((أغلب الظنِّ أنَّ هذا التصنيف يقوم على التصور الذي كان في ذهن أسلافنا من الغابرين عن العالم ، وقد ساعدت عليه بواعث غيبية ودينية ، وقد احتفظ بهذا التقليد حتى بعد أن عجز من يستعملونه عن فهم علّته))[٢٣] .

وبعد هذا العرض الذي ألقي فيه الضوء على سلوك هذه الظاهرة في جملةٍ كبيرةٍ من اللغات والأسس التي بُنيتْ عليها . لابدَّ من استقراء نماذج في العربية ، للتعرف على سلوك هذه الظاهرة فيها ، ومن ثَمَّ تفسير تأرجح هذه الظاهرة بين المنطق الذي رسمه لها النحاة ، وواقع هذه الظاهرة التي بُنيتْ على حقائق لا تمتُّ للمنطق بأيةِ صلةٍ ، وهذا ما يفسِّر تأرجح الكثير من الألفاظ بين القاعدة والاضطراب في تصنيفها على وفق هذه الظاهرة .

حاول علماء العربية تنظيم هذه الظاهرة في قواعدَ وتقنينها من أجل تسهيل دراستها للمتعلمين ، لذا عمدوا إلى إخضاع هذه الظاهرة للمنطق العقلي ، من أجل إدراجها ضمن منهج مطّرد يُسهل حفظها . فكان الكثير من الأحكام التفصيلية التي انبثقت عن هذا المنهج متأرجحة بين المنطق العقلي والاعتباط ؛ لأنَّ منطق هذه الظاهرة لا يخضع في أحايين كثيرة للمنطق العقلي الصارم ، إذ إنَّ لهذه الظاهرة منطقها الخاص ، منطقٌ تبلور نتيجة عوامل كثيرة أثرت في اللغة عبر تأريخها الطويل . ومهما أجهد العلماء أنفسهم في إخضاع هذه الظاهرة اللغوية للمنطق العقلي ، وإنكار واقع هذه الظاهرة ((فلن يستطيعوا إنكار أنَّها لا تمتُّ للمنطق العام بصلة ؛ وذلك لأنَّ للغات منطقها الخاص))[٢٤] .

فمن أُولى القضايا المنطقية التي بُنيتْ عليها هذه الظاهرة ما اتفق عليه علماء العربية على أصالة التذكير وفرعية التأنيث ، واستدلوا على ذلك باستدلالات منطقية اعتمدت القياس بالظواهر اللغوية الأخرى ، وربطوا هذا الأمر بصور أخرى مثل أصالة التنكير وفرعية التعريف [٢٥] ، إذ ذهبوا إلى ((أنَّ الأشياء كلَّها أصلها التذكير ، ثم تختصّ بعدُ ، فكل مؤنث شيء ، والشيء مذكّر ، فالتذكير أول ، وهو أشدُّ تمكناً ، كما أنَّ النكرة هي أشدُّ تمكناً من المعرفة ؛ لأنَّ الأشياء إنَّما تكون نكرة ثم تُعرّف))[٢٦] .

وهذه النظرة في معالجة هذه الظاهرة قد أثقلت كاهلها ، وحمَّلتها أكثر ممّا تحتمل – مثلما سنجد في الأمثلة القادمة – فهذه الظاهرة لا يمكن قياسها بظاهرة أخرى على وفق هذه الطريقة التي لا تمتُّ لواقع هذه الظاهرة بصلة ، لذا فهي ((لا تخضع دائماً للتحليل العقلي ، أو المنطقي ، فما يُعدُّ منطقيّاً في لغةٍ ما نجد ضدّه في لغةٍ أخرى ، بل قد نجد ضده في اللغة ذاتها أحياناً))[٢٧] .

إنّ الأساس الذي بُنيتْ عليه هذه الظاهرة هو الجنس ، فممّا لاشكّ أنّ العلماء ((نظروا إلى الموجودات في هذا العالم ، فرأوها على نوعين : نوعٌ فيه حياة ، ونوعٌ لا حياة فيه . ثم التفتوا إلى النوع الأول ذي الحياة ووقفوا عند الإنسان والحيوان منه – دون النبات – وكان جليّاً أمامهم أن يعيّنوا المذكر والمؤنث في تلك الدائرة من عالم الأشياء باتفاق تام ، إذ لا يختلف اثنان في أنَّ المذكر هو ما كان له أنثى من جنسه ، نحو : رجل وزيد وأسد ، والمؤنث ما كان له ذكر من جنسه ، نحو : امرأة وسعاد ولبوة ، وهذا هو الذي اتفق النحاة على تسميته : المذكر الحقيقي ، والمؤنث الحقيقي))[٢٨] .

إلاَّ أنَّ الألفاظ التي تندرج ضمن هذا المفهوم – مفهوم المذكّر الحقيقي والمؤنث الحقيقي – هي ألفاظ قليلة جداً موازنة بالألفاظ اللغوية الأخرى ، لذلك فإنَّ سائر الألفاظ اللغوية لم ((يروا في تذكيره أو تأنيثه ما كانوا رأوه في الإنسان أو الحيوان من صفةٍ طبيعيةٍ حقيقيةٍ قاطعةٍ ، فكان تذكيراً وتأنيثاً على المجاز ، نحو : قلم وكتاب وحجر وعنب ، ونحو : نخلة وسماء وبشرى وعين))[٢٩] .

وبعد هذا التحديد لجأ النحاة إلى تحديد هذه الظاهرة وتقنينها في قواعد وقوانين ، فأوجدوا لها رموزاً وعلامات شكلية في نهاية الكلمة للدلالة على تأنيثها وتمييزها من المذكر [٣٠] . منطلقين من مبدأ الأصالة والفرعية ، إذ إنهم يرون أنَّ الفرع تُعَلَّم أمَّا الأصول فلا تُعَلَّم فربطوا بين فكرتي الأصالة والعلامة .

وقد اتفقوا على تحديد هذه الظاهرة انطلاقاً من هذه العلامات ، حتى صار الفرق بين المذكر والمؤنث يعتمد على وجود هذه العلامة وعدمها ، فعرَّفوا المذكر بأنَّه : ((ما خلا من العلامات الثلاث : التاء [٣١] والألف والياء ...))[٣٢] ، والمؤنث بأنه ((ما وجدتْ فيه إحداهن))[٣٣] . ومن أجل اطّرادها على ألفاظ اللغة جميعها أوصلها

بعضهم إلى خمس عشرة علامة ، إذ قال : ((اعلم أنَّ للمؤنث خمس عشرة علامة ، ثمانٍ منها في الأسماء ، وأربع في الأفعال ، وثلاث في الأدوات))[٣٤] .

إلاّ أنَّ العلامة لم تكن فيصلاً في التفريق بين المذكر والمؤنث ، بل كانت ((العلامة رمزاً شكليّاً في كثير من ألفاظ العربية لا أثر له في تحديد المؤنث وتشخيصه ، فلا يكون غيابها دليلاً على التذكير ، ولا يكون وجودها دليلاً على التأنيث))[٣٥] . وهذا ما نجده في الأسماء الحقيقية التذكير التي تتميّز بمادتها اللفظية من نظيرها المؤنث ، ومن أمثلة ذلك في العربية : الأب ، والجمل ، والذّكر ، والكبش ، والتيس ، والأسد ، والحمار[٣٦]. لذلك قال أبو بكر الأنباري : ((قالوا : تيس ، وعنز ، فلزموا القياس ، ولم يحتاجوا إلى الهاء ، إذ كان لفظ الأنثى مخالفاً لفظ الذكر))[٣٧] .

لذا لا ينبغي أن يعلّق تعريف المذكر والمؤنث على وجود هذه العلامات أو عدمها ، والقول بذلك لا يؤخذ على إطلاقه ، فهذه الظاهرة لا تجري على قياس مطّرد في ذلك . وكان ابن التستري (ت٣٦١هـ) من أكثر اللغويين إدراكاً لواقع هذه الظاهرة وحقيقتها ، إذ قال : ((ليس يجري أمر المذكر والمؤنث على قياس مطَّرد ، ولا لهما بابٌ يحصرهما ، كما يدَّعي بعض الناس ؛ لأنَّهم قالوا : إنَّ علامات المؤنث ثلاث : الهاء في قائمَة وراكبة ، والألف الممدودة في حمراء وخُنفساء ، والألف المقصورة في مثل حُبْلى وسَكْرَى . وهذه العلامات بعينها موجودة في المذكّر ، أمَّا الهاء ففي قولك : رَجُلٌ باقِعَةٌ ونَسَّابَةٌ ... وأمَّا الألف الممدودة مثل : رَجُلٌ عياياءٌ ... ويومٌ ثُلاثاءٌ ... وأمَّا الألف المقصورة ففي مثل : رَجُلٌ خُنْثى وزِبَعْرى ...))[٣٨] .

بل إنَّ اللغة تلجأ إلى بدائل أخرى غير هذه العلامات للتعبير عن المؤنث ، عندما تكون العلامة عاجزة عن تحديد جنس الكلمات ، إذ لا ((نستطيع في العربية أن نؤنِّث كلمات "صقر ، نسر ، غراب" ، فنقول : "صقرة ، نسرة ، غرابة"))[٣٩]. فتلجأ اللغة في مثل هذه الحال إلى وسيلةٍ أخرى غير العلامات للتعبير عن المؤنث الطبيعي لهذه الكلمات ((فتقول العربية : "أنثى الصقر ، أنثى النسر ، أنثى الغراب" ، جاعلة من كلمة "أنثى" مورفيماً جديداً للتعبير عن مقولة الجنس المؤنث))[٤٠] .

وهذا الأمر لا يقتصر على العربية ، بل هو عينه ما تفعله الفرنسية والإنكليزية ، ففي الفرنسية لا تستطيع أن تؤنّث كلمة (Professeur = أستاذ) فتقول : (Professeuse = أستاذة) . بل تقول الفرنسية : La femme professeur – La femme medecin) = (المرأة الأستاذ – المرأة الطبيب) ، فتجعل أيضاً من كلمة (Femme) مورفيماً جديداً للتعبير عن المؤنث[٤١].

وقد ذهب أحد الباحثين [٤٢] إلى أنَّ تلك العلامات ترتبط بفكرة الجمعية أكثر من ارتباطها بفكرة التأنيث ، إذ قال : ((إنَّ ما يسمّى بعلامات التأنيث كالتاء والألف المقصورة والممدودة ، ليست في الحقيقة إلاّ علامات للمبالغة تفيد الكثرة ، ولذا نراها في كلمات مذكّرة من مثل : علاّمة وفهّامة ، كما نراها في بعض الجموع مثل قتلى وجرحى))[٤٣].

وممّا يدل على عدم اطّراد هذه الظاهرة ، وسيرها على وفق قواعد منطقيّة ، ما قامتْ به مجموعة من اللغويين بوضع مؤلفات ورسائل لغوية لحصر الألفاظ المذكرة والمؤنثة سماعياً ، ومنهم من نظّم تلك الألفاظ بأبيات [٤٤] ، وذلك لصيانة الكُتّاب والشعراء وغيرهم من الوقوع في الخطأ في تمييز المذكر والمؤنث في الكلام ؛ لأنَّه ((ليس هناك من غلطة تصدم السامع من فهم أحد الأجانب أكثر من الخلط في الجنس ، فإذا ما تجاوز تكرارها تعذّر فهم الكلام ، ومع ذلك فالتمييز بين الأجناس لا يقوم على شيء من العقل))[٤٥] .

إذ إنَّ هذه الظاهرة تُعَدُّ من أكثر الظواهر اللغوية بُعْداً عن المنطق العقلي ، فقد نفهم أن تكون الكلمات " الأمُّ ، واللبوة ، والأتان ، والعنز " مؤنثات حقيقية للكلمات " الأب ، والأسد ، والحمار ، والتيس " ، لكنّنا لا نستطيع أن نفهم لماذا كانت " الشمس والأرض " مؤنثتين ، وكان القمر مذكّراً ، إذ لا شيء يميّز هذه الأجرام السماوية من صاحبها [٤٦] .

فمثل هذه الألفاظ ارتبط تذكيرها وتأنيثها قديماً بتصوّرات خرافية وخيالية ، ولم يسر على وفق منطق عقليٍّ مطّرِد ، بل تتذبذب الألفاظ بين التذكير والتأنيث من لغة إلى أخرى ، ففي اللغات السامية نجد أنَّ القمر مذكّر عند سائر الجزريين (الساميين) ، على حين نجد الشمس مؤنثاً عند الجزريين الجنوبيين مذكّراً عند الشماليين ... وفي منطقة الحدود نجد شيئاً من الخلط [٤٧] .

ومهما يكن من أمر فإنَّ هذه الظاهرة قد تأثرت بعوامل فكرية واجتماعية لا تمتُّ للمنطق العقلي بصلة ، إذ يرى أحد الباحثين ((أنَّ العلة التي تدور في فلكها فكرة التأنيث عند الإنسان السامي الأول ، إنَّما كانت تكمن وراء صفة التوالد والإنتاج – أي التكثير – وهي أخصُّ الصفات التي تتميز بها المرأة من الرجل ، فحينما وجدت شيئاً من الموجودات قد اتصفت بهذه الصفة من قريب أو بعيد فالتأنيث أليقُ جنساً به))[٤٨] . بمعنى أنَّ ما اقترب في شكله ، أو صفته ، أو أي شيء يربطه بالأنثى جعلوه مؤنثاً ، وما اقترب في ذلك من المذكر في أذهانهم جعلوه مذكراً .

وذهب باحثٌ آخر إلى ((أنَّ اللغات السامية حين خلعت على بعض الأسماء فكرة التأنيث قد تأثرتْ في هذا بعوامل دينية ، وبأخرى مرجعها التقاليد والمعتقدات العامة التي جعلت الساميين في قديم الزمان يرون في المرأة غموضاً وسحراً ، وينسبون لها من القوى الخارقة ما لم يخطر ببال من جاءوا بعدهم ، ثم ضمّوا إلى المرأة كلَّ الظواهر الطبيعية التي خُفِي عليهم تفسيرها ... وأدّتْ تلك المعتقدات الخرافية إلى اعتبار بعض الأسماء مؤنثة ؛ لأنَّها تُعبِّر عن ظواهر غامضة ليس من السهل عليهم تفسيرها ، وأشبهتْ لهذا في أذهانهم ما أحاطوا به المرأة من سحر وخرافة))[49]. ومن تلك الكلمات "الأرض" وما ارتبط بها من كلمات مثل : " الطريق ، والبئر ، والجهات الأربع " . وكذلك الظواهر الطبيعية من " ريحٍ ، وسحابٍ ، ومطر " ، فضلاً عن تلك التي تدلُّ على المدن وجسم الإنسان والأسلحة والحجارة[50].

وقد تنبّه بعض القدماء على هذا النوع من التصوّر الغيبي في تصنيف الألفاظ بحسب هذه الظاهرة ، إذ سأل أبو حيّان التوحيدي (ت٤١٢هـ) عن العلة في تذكير العرب "القمر" وتأنيثها "الشمس" ، فأجابه مسكويه بقوله : ((أمَّا النحويون فلا يُعلّلون هذه الأمور ، ويذكرون أنَّ الشيء المذكّر بالحقيقة رُبَّما أنثته العرب ، والمؤنّث بالحقيقة رُبَّما ذكّرته العرب ، فمن ذلك أنَّ الآلة من المرأة بعينها التي هي سبب تأنيث كلِّ مؤنث هي مذكر عند العرب ، وأمَّا آلة الرجل فلها أسماء مؤنثة ... ولكنَّ الشمس فإنِّي أظنُّ السبب في تأنيث العرب إياها أنَّهم كانوا يعتقدون في الكواكب الشريفة أنَّها بنات الله – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – وكلُّ ما كان منها أشرف عندهم عبدوه . وقد سمُّوا الشمس خاصة باسم الآلهة ، فإنَّ اللات اسم من أسمائها فيجوز أن يكونوا أنثوها لهذا الاسم ولاعتقادهم أنَّها بِنْتٌ من البنات ، بل هي أعظمهنَّ عندهم))[51] .

ومن مظاهر التناقض بين واقع هذه الظاهرة والمنطق العقلي ، أنّنا نطلق كلمات مؤنثة نحوياً على أشخاص ذكور ، كالذي يتمثل في الألفاظ المذكرة من الأعلام في العربية ، التي منها : " أذينة ، وأسامة ، وأميّة ، وثعلبة ، وحارثة ، وحذيفة ، وحلّزة ، وحمزة ، وطلحة ، وعبيدة ، وعُروة ، وعلقمة ، وعنترة ، ومعاوية ، ونابغة " ... الخ . وكذلك الصفات المختومة بالعلامة الشكلية التي تُطلق على المذكر ، التي منها : " نُومة ، وداهية ، وفُحّاشة ، وعلاّمة ، وهجّاجة " [52] . فعلامة التأنيث لم تؤدِ أي غرضٍ لغويّ أو دلاليّ في هذه الأسماء ، وإنَّما كان ورودها شكليّاً .

ومن مظاهر هذا التناقض أيضاً أن نستعمل كلمات مذكرة مثل : " حامل ، وحائض ، وطالق ، ومرضع " ، ولا نعني بها إلاَّ نساءً . وقد يقال : إنّ التذكير اللفظي الذي في مثل هذه الكلمات سببه عدم الحاجة إلى تأنيث الكلمات الخاصة بالنساء حصراً ، إذ لا يمكن للرجل أن يحبل ويحمل ، أو يحيض ، أو غير ذلك من هذه الصفات – وهذا صحيح [53] – إلاَّ أنَّ ذلك لا ينفي سير اللغة على وفق منطق خاص في إطلاق كلمات هي مذكرة في عرفها النحوي على إناثٍ حقيقيات [54] . فضلاً عن أنَّ القول بأنَّ اللغة لم تؤنّث مثل هذه الأسماء ؛ لعدم الحاجة إلى ذلك – لأنَّها صفات خاصة بالنساء ، لا حاجة فيها إلى التفريق – لا يؤخذ على إطلاقه ، إذ ثمة ((صفات كثيرة ممّا يشترك فيه الرجال والنساء ، ومع ذك لا تحاول اللغة أن تفرِّق بينها في التأنيث والتذكر ، من ذلك ما نعرفه في العربية أنَّ كلَّ ما جاء على "فعول" بمعنى فاعل ، أو على "فعيل" بمعنى "مفعول" استوى فيه المذكر والمؤنث ، مثل " عجوز ، غفور ، ذمول ، طموح ، قتيل ، جريح ...))[55] .

ويبدو أنَّ فقدان الصلة بين الاسم ومدلوله الجنسي كان سبباً في اضطراب هذه الظاهرة ، فما كان مذكراً عند قوم هو مؤنث عند غيرهم ، يقول الفرَّاء (ت٢٠٧هـ) : ((أهل الحجاز يقولون : هي النخل ، وهي البسر والتمر والشعير . فأهل الحجاز يؤنثونه ، ورُبَّما ذكّروا ، والأغلب عليهم التأنيث. وأهل نجد يذكّرون ذلك ، وربَّما أنثوا ، والأغلب عليهم التذكير))[56] . لذلك لا نعجب إذا رأينا أنَّ كلمة "النخل" تتخذ أوضاعاً مختلفة ، فقد جاءت بالتأنيث على لغة أهل الحجاز في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ كأنَّهم أعجازُ نخلٍ خاوية ﴾[57] ، وكذلك ﴿ والنخلُ ذاتُ الأكمام ﴾[58] ، وجاءت بالتذكير على لغة تميم ، في قوله تعالى : ﴿ كأنَّهم أعجازُ نخلٍ منقعر ﴾[59] .

ومثل ذلك ألفاظ كثيرة هي مذكرة عند التميميين ، مؤنثة عند الحجازيين كـ" السماء ، والذهب ، والبُر ، والسوق ، والطريق ، والسراط ، والسبيل ، والسلاح " ... الخ[60].

فالصفة الجنسية قد ارتبطتْ في أذهان الشعوب بأفكار متباينة ، ((ولمّا كانت أذواق الناس تتفاوت كما تتفاوت عاداتهم وتتمايز تقاليدهم وأعرافهم ، رأينا أنَّ اللغات تختلف باختلاف الأمم في اختلافها على تذكير الأشياء أو تأنيثها مجازيّاً ، فقد تؤنِّث الألمانية ما تذكِّره غيرها ، وقد تؤنّث العربية ما تذكّره سواها ، وقد تختلف الأعراف في اللغة الواحدة ، فنجد ألفاظاً يجوز فيها التذكير والتأنيث))[61] . فما كان مسوّغاً للتذكير عند قوم قد يكون مسوّغاً للتأنيث عند غيرهم . فقد ارتبط التذكير عند تميم بالتعظيم ، وهذا ما يفسِّر تذكيرهم لكلمة "الشمس" التي كانت مؤنثة في أصلها اللغوي [62] . وارتبط عندهم التذكير بالجمع أيضاً . على حين أنَّ هذه الفكرة مختلفة تماماً لدى الحجازيين ، إذ ارتبط الجمع في أذهانهم بفكرة التأنيث [63] . لذلك نجد أنَّ ((الجنس المميَّز واحده بهاء التأنيث يذكّر في لغة تميم ويؤنث في لغة أهل الحجاز . وليس من الصعب علينا أن نستنتج

أنَّ كلمات من نحو : "نحل ونمل وقمل" وما إلى ذلك ممّا كان واحده بالهاء وجمعه بطرحها يكون مذكّراً في لهجة تميم ومؤنثاً في لهجة أهل الحجاز))[٦٤] .

فممّا لاشك فيه أنَّ هذه الظاهرة تأثرت بعوامل اجتماعية ودينية وفكرية ، وبُنيتْ على أفكار لا تمتُّ للمنطق العقلي بصلة . أمَّا طبيعة هذه الأفكار فهي متفاوتة بتفاوت المجتمعات في تقاليدها وأعرافها وتفكيرها ومن الصعب جداً معرفة هذه الأفكار ((بمعنى أنَّنا لا نستطيع أن نقرر لماذا اتّصفت هذه الأسماء بالتذكير أو التأنيث ، أو لماذا ارتبطت فكرة الكثرة " أو الجماعة " عند قوم بالتذكير ، وارتبط عند آخرين بفكرة التأنيث))[٦٥] .

لذلك وبناءً على ما سبق فإنَّ اختلاف اللهجات في النظر إلى بعض الألفاظ وتقرير تذكيرها وتأنيثها يفسِّر لنا تذبذب الكثير من الألفاظ بين التذكير والتأنيث ، ومجيئها على صورتين ، وأغلب الظنِّ ((أنَّ إحدى هذه الصور كانت مستعملة كلغةٍ أدبية نموذجية ، ولمّا جاء جامعو اللغة – وكان جمعهم خليطاً غير منظم – جمعوا هذه الصور على أنَّها هي اللغة الفصحى ، مع أنَّهم حشدوا مع الفصحى هذه الاستعمالات الشعبية ، والتي كان يجب أن تبقى في مكان واضح منعزل من المعجم العربي حتى تعطينا صورة محددة للهجات هذه القبائل ، ولهذا كثيراً ما نجد جمهرة المحققين في قلق من وجود مثل هذه الصور للكلمة الواحدة في مكان واحد))[٦٦] .

إلاَّ أنَّ اللغويين لم يعالجوا هذه الظاهرة على وفق المنطق الذي سارت عليه ، بل أخضعوها للمنطق العقلي من أجل اطّرادها في قواعد وقوانين ، وما لم يخضع لهذه القواعد والقوانين أُوِّل تأويلات بعيدة عن واقع اللغة . إذ ذهبوا مثلاً إلى أنَّ علامة التأنيث حذفت في نحو (حامل ، وحائض ، وطالق ...) ؛ لأنَّها صفات بُنيتْ على فاعل مراداً بها النسب ، فكأنَّ التقدير : ذاتُ حملٍ ، وذاتُ حيضٍ ، وذاتُ طلاقٍ ، وهي محمولة على قول العرب : رَجلٌ رامحٌ ونابلٌ ، أي ذو رمحٍ وذو نَبْلٍ [٦٧] .

على حين نجد "سيبويه" يلتمس وجهاً آخر يُعلِّل فيه هذا الحذف المزعوم ، فهو يرى أنَّ هذه الصفات إنَّما وردتْ بهيأة التذكير ؛ لأنَّها حُمِلَتْ على المعنى ، أي وُصِفَ بها مذكّرٌ محذوفٌ ، فكأنَّ التقدير : إنسانٌ حاملٌ ، أو شيءٌ حاملٌ[٦٨] .

إنَّ الواقع اللغوي يكشف أنَّ هذه الظاهرة لا تسير على وفق قاعدةٍ مطّردةٍ ، والأحكام التي قررها النحويون من أجل اطّرادها كانت نتائجها لا تتفق مع الواقع اللغوي ، بل كانت بعيدة عنه وعن التفسير اللغوي الدقيق . من ذلك ما أورده "المبرِّد" في تأويل قوله تعالى : ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾[٦٩] ، إذ قال : ((قال الخليل : إنّما قيل " مُنْفَطِرٌ " ، لم يُقَلْ : " مُنْفَطِرَةٌ " ؛ لأنَّه أريد به النَّسب ، كقولك : " دِجاجةٌ مُعْضِلٌ " و " امرأةٌ مُرْضِعٌ " و " ضَبْيةٌ مُشْدِنٌ " ... وقال غيره من النحويين : " السَّماء " ها هنا جمع " سماوة " ، كما تقول في " صلاية " و " عِلاوة " و " هِراوة " : "صِلاءٌ " و " هِرَاءٌ " ...))[٧٠] . فمثل هذا التفسير بعيد عن واقع هذه الظاهرة ، ومجيء اللفظة الواحدة على صورتين – إمَّا مذكّرة أو مؤنّثة – لا يسوّغ حَمْلها على تأويلاتٍ بعيدة عن روح اللغة ومنطقها .

ومن ذلك أيضاً ما أورده " ابن جنّي " في تأويل جملةٍ من الألفاظ في القرآن الكريم ، إذ قال : ((... ومنه قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَلَمَّا رَأى الشَّمْسَ بازِغةً قال هذا رَبِّي ﴾[٧١] ، أي هذا الشخص ، أو هذا المرئيّ ونحوه . وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِن رَبِّهِ ﴾[٧٢] ؛ لأنَّ الموعظةَ والوعظَ واحدٌ . وقالوا في قوله سبحانه : ﴿ إنَّ رَحْمَةَ الله قَرِيبٌ من المُحْسنين﴾ [٧٣] ، إنَّه أراد بالرحمة هنا المطر ...))[٧٤] . ويتعجب المرء إذا اطّلع على اثني عشر تأويلاً ، أو تخريجاً لهذه الآية التي أخبر فيها عن المؤنث بالمذكر [٧٥] .

ومن تلك الأمثلة – التي تتجلّى فيها عدم معرفة النحاة بواقع هذه الظاهرة – ما ذكروه في قول الشاعر :[٧٦]

فَلا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَها ولا أرْضَ أبْقَلَ إبْقَالَها

إذ يبدو أنَّ خروج هذا الشاهد عن قاعدة اللغويين أدّى بهم إلى اللجوء إلى ساحة الضرورات ؛ لتأويل مثل هذه الأمثلة . والحقيقة أنَّه ((لا ضرورة في مثل هذا ... لأنَّ الشاعر في استطاعته أن يقول : " ولا أرض ابقلتِ ابقالها " بحذف الهمزتين ، ولا ينكسر البيت ، فدلَّ هذا على أنَّ الصيغة في الشاهد لا ضرورة فيها ، وإنَّما حذف التاء من الفعل ؛ لأنَّ تأنيث الأرض ليس بحقيقي))[٧٧] . وقد أدرك " ابن كيسان " (ت٢٩٩هـ) أنَّ ذلك ((ليس بضرورة لتمكّنه من أن يكون : ابقلت ابقالها بالنقل))[٧٨] ، أي بنقل الهمزة إلى ما قبلها وإسقاطها . لذلك فما الذي يضطر بالشاعر إلى الخروج عن الأسلوب الصحيح إنْ لم يحقق له قيمةً دلاليةً ؟ ما لم يكن ذلك ظلاً لاستعمالاتٍ لهجية خاصة .

فلا يصحُّ أن نحمّل أية لهجةٍ – مهما كانت قليلة – ((على الضرورة ؛ لأنَّ حملها عليها ، إهدارٌ لِحقِّها في الحياة))[٧٩] .

ولعلَّ ما يؤيد أنَّها استعمال لهجيٌّ خاص قول " ابن هشام " (ت٧٦١هـ) : ((إنْ صحّت الرواية ، وصح أنَّ القائل ذلك هو الذي قال : ولا أرض أبقل بالتذكير صحَّ لابن كيسان مدعاه ، وإلاَّ فقد كانت العرب ينشد بعضهم بعضاً ، وكلٌ يتكلم على مقتضى لغته التي فطر عليها ومن هنا تكثر الروايات في بعض الأبيات))[٨٠] .

ومن هذه التأويلات البعيدة عن التفسير اللغوي الدقيق ما وردتْ عن اللغويين في تفسير " العين المكحول " في قول طفيل الغنوي :[٨١]

إذ هي أحوى من الربعيّ حاجبه والعين بالأثمد الحاريّ مكحول

فالعين مؤنّثة عند اللغويين والنحاة العرب ، لذا اختلفوا في تأويل هذه العين على فرق :

١- إذ يرى " سيبويه " أنَّ العين جاءت بمعنى الطَرْف[٨٢] .
٢- وذهب " الفرَّاء " إلى أنَّ الشاعر قال : (مكحولاً) ؛ لأنَّ العين لا علامة للتأنيث فيها [٨٣] .
٣- ويرى " الأصمعي " (ت٢١٦هـ) أنَّه قال (مكحولاً) ؛ لأنَّ المعنى حاجبه مكحول ، والعين أيضاً[٨٤] .
وعقّب " ابن الأنباري " على رأي " الأصمعي " فقال : ((فعلى هذا المعنى ترتفع هي بأحوى ، وأحوى بهي ، ويرتفع الحاجب بمكحول ، ومكحول به ، وترتفع العين بإضمار مكحول والمعنى : حاجبه مكحول وعينه مكحولة أيضاً))[٨٥] .

وهذه تأويلات بعيدة عن روح اللغة ، وعن المنطق اللغوي ، و ((أحسن ما توصف به أنَّها مضطربة ، كما أنَّها لا تخلو من تعسّف ، وتخلو من جامعٍ منطقيٍّ أو لغويّ يجمع بينها))[٨٦] .

والتفسير المنطقي لمثل هذه الألفاظ – التي تتذبذب بين التذكير والتأنيث – أنَّها مؤنّثة مجازياً ((فتؤنث عند جماعة من العرب وتذكر عند آخرين ؛ لأنَّها لا تحمل علامة محددة تجعلها مؤنثة . وعدم معرفة اللغويين القدامى هذا التفسير أوقعهم في اضطراب عند تفسيرهم مجموعة من الأبيات التي تقع في ميدان التأنيث المجازي))[٨٧] .

وصفوة القول إنَّ هذه الظاهرة لا تسير على وفق منطق عقليٍّ مطّرد في جميع اللغات التي تحاول تصنيف الألفاظ على وفق هذه الظاهرة من حيث الجنس ؛ لأنَّ هذه الظاهرة بُنيتْ على فكرةٍ ضيّقةٍ في تصنيف موجودات الكون – وهي الذكر والأنثى – ومن ثَمَّ عمّمتْ هذه الفكرة لتشمل ألفاظ اللغة جميعها ، لذا ظهر ما يسمّى بالمذكر والمؤنث المجازيين . فضلاً عن أنَّ هذه الظاهرة قد تأثرت بعوامل كثيرة – دينية واجتماعية وخرافية وغير ذلك – كان لها دورٌ كبيرٌ في تصنيف الألفاظ إلى مذكر ومؤنث .

وبما أنَّ هذه العوامل تختلف من مجتمع إلى آخر ، لذا فإنَّ ما كان مذكراً لدى مجتمع قد يكون مؤنثاً لدى آخر . وهكذا كانت الأسس التي بُنيتْ عليها هذه الظاهرة غير ثابتة ، بل تتباين من مجتمعٍ إلى آخر ، فكانت النتائج التي تمخّضتْ عنها غير ثابتة .

ولم تكن دراسة النحاة لهذه الظاهرة انطلاقاً من هذه المفاهيم – التي تُبيّن منطق هذه الظاهرة – بل كانت بواعثها مختلفة عن ذلك ، إذ كانت الغاية من دراستهم لها من أجل تقنينها في قواعد وقوانين لكي تسهّل دراستها للمتعلمين . لذلك كانت القواعد والأحكام التي انبثقتْ عن هذه الدراسة متأرجحة بين القاعدة والاعتباط .

الهوامش

١. دراسات في اللغة والنحو : د. عدنان محمد سلمان ٩ .
٢. من أسرار اللغة : د. إبراهيم أنيس ١٣٨
٣. ينظر : نفسه .
٤. البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث : أبو البركات الأنباري (مقدمة المحقق) ٢٧ .
٥. ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية : د. إسماعيل أحمد عمايرة ١٨ .
٦. ينظر : نفسه ١٧ . ولسان العرب (خنث) .
٧. نفسه ١٧ .
٨. الوجيز في فقه اللغة : محمد الأنطاكي ٣٣٥ .
٩. ظاهرة التأنيث ١٩ .
١٠. ينظر : نفسه .
١١. نفسه ١٩ – ٢٠ .
١٢. ينظر : نفسه ٢٠ .
١٣. ينظر: نفسه ٢١ .
١٤. فقه اللغات السامية : كارل بروكلمان ٩٥ .

١٥. وهي إحدى لغات هنود أمريكا الشمالية ، ينظر : Dictionary of Linguistics, Mario Pei- and Frank Gaynor, P9.

١٦. اللغة : فندريس ١٣١ .
١٧. من أسرار اللغة ١٥٩ .
١٨. نفسـه .
١٩. ينظر : التطور النحوي للغة العربية : برجستراسر ١١٥ ، ومن أسرار اللغة ١٥٩ .
٢٠. ينظر : من أسرار اللغة ١٥٩ .
٢١. نفسـه .
٢٢. نفسـه ١٥٩ – ١٦٠ .
٢٣. اللغة ١٣٣ .
٢٤. من أسرار اللغة ١٥٨ .
٢٥. ينظر : التذكير والتأنيث في العربية بين العلامة والاستعمال : د. محمد ضاري حمادي ٢٩٧ .
٢٦. الكتاب : سيبويه ٣ / ٢٤١ . وينظر : تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : ابن مالك ٢٥٣ . وشرح لتصريح على التوضيح : خالد الأزهري ٢ / ٢٨٥ .
٢٧. ظاهرة التأنيث ٤٣ .
٢٨. التذكير والتأنيث في العربية ٣٠١ .
٢٩. نفسـه .
٣٠. ينظر : نفسـه .
٣١. اختلف النحاة في هذه "التاء" ، إذ ذهب البصريون إلى أنها تتخذ صورة أخرى هي "الهاء" في حـال الوقف ، قال سيبويه : ((وأمَّا الهاء ، فتكون بدلاً من التاء التي يؤنث بها الاسم في الوقف ، كقـولك : هذه طلحة)) الكتاب ٢٣٨/٤ ، وقال المبرِّد : ((وأمَّا التاء ، فتزاد علامةً للتأنيث في قائمـة وقاعـدة ، وهذه التاء تبدل منها الهاء في الوقف)) المقتضب ٦٠/١ ، وأيّدهم في ذلك الفرَّاء ، ينظر: شرح الشافية : رضي الدين الاسترابادي ٢٨٨/٢ . أمَّا الكوفيون فذهبوا إلى أنَّ "الـتاء" طارئةٌ ، وأنَّ الأصل "الهـاء" ، إذ قال أبو العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ) : ((إنَّ الهاء في تأنيث الاسم هو الأصل ...)) شرح الشافية ٢٨٩/٢ .
٣٢. المفصّل في علم العربية : الزمخشري ١٩٨ . وينظر: الكتاب ٢٣٦/٤ . والمذكر والمؤنث :الفرّاء ٥٧.
والمذكر والمؤنث : المبرِّد ٨٣ وما بعدها . والمذكر والمؤنث : أبـ بكر الأنـباري ٦٣ . والمذكـر والمؤنث : ابن التستري ٤٧ .
٣٣. نفسـه .
٣٤. المذكر والمؤنث: أبو بكر الأنباري ١٦٦. فاللاّتي في الأسماء : الألف المقصورة في "ليلى" ، والممدودة في "حمراء" ، والتاء في "أخت" ، والهاء في "طلحة" ، والنون في "هُنَّ " ، والكسرة في "أنتِ" ، واليـاء في "هذي" ، والألف التاء في "مسلمات" . واللاّتي في الأفعال : التاء في "قامتْ" ، والياء في " تضربين" ، والكسرة في "قمتِ" ، والنون في " قُمْن" . واللاّتي في الأدوات : التاء في "رُبَّت" ، والهاء في " لات = لاه " ، والهاء والألف في " إنَّها " . ينظر : نفسـه ١٦٦ .

٣٥. التذكير والتأنيث في العربية ٣٠٩ .
٣٦. ظاهرة التأنيث ٢٨ .
٣٧. المذكر والمؤنث : أبو بكر الأنباري ٩٠ .
٣٨. المذكر والمؤنث : ابن التستري ٤٧ – ٤٨ .
٣٩. الوجيز ٣٣٤ .
٤٠. نفسـه .
٤١. ينظر : نفسـه ٣٣٤ .
٤٢. وهو A. J. Wensinek في بحثه : Some Aspects of Gender in The Semitic Languages,
ينظر : من أسرار اللغة ١٦٣ .
٤٣. من أسرار اللغة ١٦٣ .
٤٤. لمعرفة هذه المصنفات ، ينظر : التذكير والتأنيث في العربية ٣١٤ .

٤٥. اللغة ١٢٧ .
٤٦. ينظر : الوجيز ٣٣٠ .
٤٧. التاريخ العربي القديم : ديتلف نيلسن ٢٣١ .
٤٨. التذكير والتأنيث في اللغات السامية : أحمد شوقي النجار ١٣٠ .
٤٩. من أسرار اللغة ١٦٣ .
٥٠. ينظر : نفسه .
٥١. الهوامل والشوامل : أبو حيان التوحيدي ٢٦٦ ــ ٢٦٨ .
٥٢. ينظر : المذكر والمؤنث ، المبرِّد ١٠٢ . والمذكر والمؤنث ، أبو بكر الأنباري ٥٦ ــ ٥٩ .
٥٣. أودُّ الإشارة إلى أنَّ هذه الحال غير مطّردة أيضاً، إذ إنَّ هذه الصفات التي وردت مؤنثة من دون علامة
تأنيث قد وردت بعلامة تأنيث أحياناً، فكلمة "مرضع" صفة اختصّتْ بها الإناث وهي من دون علامة تأنيث ، ولكنها وردت بعلامة تأنيث في قوله تعالى: ((يوم ترونها تذهل كل مرضعة عمّا أرضعت)) الحج:٢. ولعلَّ الرغبة في اطراد القاعدة هي التي جعلت الاستعمال اللغوي يميل إلى إدخال علامة التأنيث في مثل هذه الألفاظ ، ومثل ذلك امرأة طالق وطالقة ، وغيرها ... ينظر : ظاهرة التأنيث ٤١ .
٥٤. ينظر : الوجيز ٣٣٢ ــ ٣٣٣ .
٥٥. نفسه ٣٣٣ .
٥٦. المذكر والمؤنث : الفراء ٣٠ .
٥٧. الحاقة : ٧ .
٥٨. الرحمن : ١١ .
٥٩. القمر : ٢٠ .
٦٠. ينظر : لهجة تميم ٢٧٧ ــ ٢٧٩ . ولهجة قبيلة أسد ١٦٢ ــ ١٦٣ .
٦١. ظاهرة التأنيث ٢٩ .
٦٢. ينظر : لهجة تميم ٢٧٨ .
٦٣. ينظر : نفسه ٢٨٠ .
٦٤. نفسه .
٦٥. نفسه ٢٨١ .
٦٦. اللهجات العربية في التراث : د. أحمد علم الدين الجندي ٦٤٤ .
٦٧. ينظر : همع الهوامع : السيوطي ٦ / ٦٣ .
٦٨. ينظر : الكتاب ٣ / ٣٨٤ .وشرح الكافية : رضي الدين الاسترآبادي ٢ / ١٦٥ .
٦٩. المزّمِّل : ١٨ .
٧٠. المذكر والمؤنث : المبرِّد ١٢٢ ــ ١٢٣ .
٧١. الأنعام ٧٨ .
٧٢. البقرة : ٢٧٥ .
٧٣. الأعراف : ٥٦ .
٧٤. الخصائص ٢ / ٤١٤ .
٧٥. من تلك الأوجه : إنَّه تأويل للمؤنث بالمذكر ، إذ تؤول الرحمة ــ وهي مؤنثة ــ بالإحسان ... ينظر : بدائع الفوائد : ابن قيّم الجوزية ٣ / ١٨-٣٥ .
٧٦. البيت لعامر بن جوين الطائي يصف سحابة وأرضاً ناقعتين، خزانة الأدب٢١/١ . والخصائص٤١٣/٢ .

٧٧. اللهجات العربية في التراث ٦٤٢ .

٧٨. مغني اللبيب : ابن هشام الأنصاري ٧٣١ .
٧٩. اللهجات العربية في التراث ٦٤١ . وثمة شواهد كثيرة ألحقتْ فيها ظاهرة التذكير والتأنيث بالضرورات
الشعرية ، ينظر أيضاً : ٦٤٠ ــ ٦٤٣ .
٨٠. خزانة الأدب ١ / ٢١ . وينظر : شرح شواهد المغني : السيوطي ٩٤٣ .
٨١. ديوانه ٨٩ . وينظر : المذكر والمؤنث : ابن الأنباري ٢٨٢ .
٨٢. ينظر : الكتاب ١ / ٢٤٠ .
٨٣. معاني القرآن : الفرَّاء ١ / ١٢٧ .

٨٤. المذكر والمؤنث : ابن الأنباري ٢٨٣ .
٨٥. نفسه .
٨٦. الصرف وعدم الصرف في أسماء المدن والأمكنة : د. أحمد نصيّف الجنابي ٢٤ .
٨٧. نفسه .

((المصادر والمراجع))

١- بدائع الفوائد : ابن قيّم الجوزية (ت٧٥١هـ) ، تصحيح : محمد منير الأزهري ، القاهرة ، (د – ت) .

٢- البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث : لأبي البركات بن الأنباري (ت٥٧٧هـ) ، تحـ: د. رمضان عبد التواب، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة، ١٩٧٠م .

٣- التاريخ العربي القديم : ديتلف نيلسن ، وفرتز هومل وآخرين ، ترجمة : د. فؤاد حسنين علي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

٤- التذكير والتأنيث في العربية بين العلامة والاستعمال : د. محمد ضاري حمادي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الثالث والثلاثون ، رجب ١٤٠٢هـ – نيسان ١٩٨٢م .

٥- التذكير والتأنيث في اللغات السامية : أحمد شوقي بدوي النجار ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة .

٦- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : ابن مالك (ت٦٧٢هـ) ، تحـ: محمد كامل بركات ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٦م .

٧- التطور النحوي للغة العربية : برجستراسر ، أخرجه وصححه وعلّق عليه : د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٢م .

٨- خزانة الأدب : عبد القادر محمد البغدادي (ت١٠٩٣هـ) ، المطبعة الأميرية ببولاق ، ط١ ، ١٢٩٩هـ .

٩- الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت٢٩٣هـ) ، تحـ: محمد علي النجار ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط٤ ، بغداد ، ١٩٩٠م .

١٠- دراسات في اللغة والنحو : د.عدنان محمد سلمان، منشورات جامعة بغداد، ١٩٩١م.

١١- ديوان طفيل الغنوي : تحـ: محمد عبد القادر أحمد ، بيروت ، ١٩٦٨م .

١٢- شرح التصريح على التوضيح : خالد عبد الله الأزهري (ت٩٠٥هـ)، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، (د – ت) .

١٣- شرح شافية ابن الحاجب : رضي الدين الاسترآبادي (ت٦٨٦هـ) ، تحـ : محمد نور الحسن وآخرين ، بيروت ، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٦م .

١٤- شرح شواهد المغني : جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ، باعتناء الشيخ محمد الشنقيطي ، لجنة التراث العربي ، (د – ت) .

١٥- شرح الكافية : رضي الدين الاسترآبادي ، تحـ: أحمد السيد أحمد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، (د – ت) .

١٦- شرح المفصَّل : ابن بعيش (ت٦٤٣هـ) ، الطباعة المنيرية ، مصر ، (د – ت) .

١٧- الصرف وعدم الصرف في أسماء المدن والأمكنة : د. أحمد نصيّف الجنابي ، مجلة آداب المستنصرية ، العدد التاسع ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .

١٨- ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية دراسة لغوية تأصيلية: د. إسماعيل أحمد عمايرة ، دار حُنين ، عمان ، الأردن ، ط٢ ، ١٩٩٣م .
١٩- فقه اللغات السامية : كارل بروكلمان ، ترجمة : د. رمضان عبد التواب جامعة الرياض ، المملكة العربية السعودية،١٩٧٧م.
٢٠- كتاب سيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان (ت١٨٠هـ) ، تحـ: عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦ .
٢١- لسان العرب : ابن منظور الأفريقي (ت ٧١١هـ) ، دار صادر ، (د - ت) .
٢٢- اللغة: ج- قندريس ، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، ١٩٥٠م.
٢٣- اللهجات العربية في التراث : د. أحمد علم الدين الجندي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٧٨م .
٢٤- لهجة تميم وأثرها في العربية الموحّدة : غالب فاضل المطّلبي ، منشورات وزارة الثقافة والفنون العراقية ، ط١ ، ١٠٧٨م .
٢٥- لهجة قبيلة أسد: علي ناصر غالب ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية ،ط١ ، ١٩٨٩م .
٢٦- المذكر والمؤنث: ابن التستري الكاتب (ت٣٦١هـ)، تحـ: أحمد عبد المجيد هريدي هريدي ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض ، ط١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
٢٧- المذكر والمؤنث : أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت٣٢٨هـ) ، تحـ: د.طارق عبد عون الجنابي ، بغداد ، ١٩٧٨م .
٢٨- المذكر والمؤنث : أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّد (ت٢٨٥هـ) ، تحـ : د. رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي ، مطبعة دار الكتب ، مصر ، ١٩٧٠م .
٢٩- المذكر والمؤنث: يحيى بن زياد الفرَّاء (ت٢٠٧هـ)، تحـ: د. رمضان عبد التواب ، القاهرة ، ١٩٧٥م .
٣٠- معاني القرآن : الفرَّاء ، تحـ: محمد علي النجار وآخرين ، مطبعة دار الكتب ، مصر ، ١٩٥٥م .
٣١- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) ، تحـ: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، بيروت ، لبنان .
٣٢- المفصَّل في علم العربية : جار الله الزمخشري (ت٥٣٧هـ)، باعتناء : محمود توفيق الكتبي ، مطبعة حجازي ، القاهرة (د - ت) .
٣٣- المقتضب : المبرِّد ، تحـ: محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت (د - ت) .
٣٤- من أسرار اللغة : د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٥ ، ١٩٧٥م .
٣٥ - همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية : السيوطي ، تحـ:د. عبد السلام محمد و د. عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ١٩٨٠م .

٣٦- الهوامل والشوامل : أبو حيان التوحيدي (ت٤١٢هـ) ، عني بنشره : أحمد أمين وأحمد صقر ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥١م .
٣٧- الوجيز في فقه اللغة : محمد الأنطاكي ، مكتبة الشهباء ، حلب ،(١٣٨٩هـ-١٩٦م تاريخ المقدمة) .

- Directory of Linguistics, M. pei & F. Gaynor, New York, 1977.

Dr. Farhad Aziz Muhi Aldeen
Instructor
College of Education
Kirkuk University

((Abstract))

The male and female phenomenon which is not follow according logic in words classification. But the situation of language is detect that this phenomenon has special logic that unacceptable to make it under the mental logic.

The basic that this phenomenon build upon is sex in most of the language. Also this attitude in all language words classification is ratio narrow view. The human tried to – after he recognize the human and animal in his language as in sex – communize this view on all of his language words. After that the male and female metaphorical appeared.

So if we searched about the logical relationship between these male and female metaphorical words, and between female and male in fact we will find a lot of words which is no relationship to sex ever. But the language followed to deal with it due to different factors – religion, community, ideological, etc – .

As a result these factors that affected on this phenomenon is changeable and it is different from society to another, so what was male in a nation is a female in other nation view.

Even the classification of words according to sex it is irregular in all language, there is another languages that classified the words according to other things without sex.

So, studying this phenomenon should be according to this phenomenon logic. And explaining the classification of male and female metaphorical words according to this phenomenon should be started from this fact. If that submitted to the restrict mental logic will make it disorder and far from detective language explaining.